

المحاضرة الثالثة : الحضارة العاترية و القفصية

اكتشفت البقايا الحجرية لهذه الصناعة لأول مرة في موقع وادي جبانة بالقرب من دائرة بئر ، غير أن دراسته لم (Reygasse) العاتر بولاية تبسة سنة 1917 م على يد الباحث ريجاس (J. Morel) تتم إلا في عام 1974م من طرف ج. موريل

وقد تمثلت خصوصية هذا الموقع في احتوائه على أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (مكاشط وأدوات مسننة) جنبا إلى جنب مع أدوات أخرى تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى كالمكاشط المسطحة، وأدوات أخرى كثيرة ذات سيقان. وقد انطلت هذه الميزة على أغلب مواقعها الى درجة أن تداخل هذه الأدوات الحجرية جعلها متشابهة ومظلمة. وقد عرفت هذه الحضارة بادئ الأمر باسم حضارة وادي جبانة نسبة إلى الموقع الذي اكتشفت فيه الأدوات الحجرية الأولى لهذه الحضارة، ثم أصبحت تعرف فيما بعد بالحضارة العاترية.

يعيد المختصون ظهور الحضارة الأشولية إلى نهاية العصر الحجري القديم الأسفل وبداية العصر الحجري القديم الأوسط، ويرجح علماء ما قبل التاريخ أن تكون الحضارة العاترية قد تطورت عنها، إلا أن بحوثا علمية أخرى أكدت أن الحضارة العاترية استمدت أصولها من المسترية التي سبقتها اعتمادا على التشابه الموجود بينهما. وتعتبر الحضارة العاترية من أقدم حضارات الإنسان العاقل، حيث شغلت الفترة ما بين 45,000 إلى حوالي 20,000 سنة ق.م.

كانت بيئة هذه المنطقة الجغرافية في تلك الفترة تميزها الغابات المطيرة الكثيفة الأشجار، وكثرة الأنهار والينابيع التي كانت تتخللها، وكذا بعض الأنواع الحيوانية، وقد وفر هذا الطابع المناخي الظروف المناسبة لصناع الحضارة العاترية وهم أشباه النياندرتاليين حسب ما خلصت اليه الدراسات للاستقرار بها

ونظرا للتميز الكبير لصناعات الأدوات الحجرية القديمة في المنطقة، فإن الباحثين يعتبرون أن الحضارة العاترية هي أقدم أنموذج على التنوع التكنولوجي الإقليمي. فبالإضافة إلى انتشارها الواسع فهم يرجحون أن تكون عدة فروع حضارية صغيرة كالوهرانية والقفصية قد انبثقت عنها، حيث بدأت دائرتها تتوسع لتشمل أول الأمر كامل البلدان المغاربية، ثم توسعت حدودها لتغطي المجال الجغرافي الممتد من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر النيل شرقا ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى شمال النيجر والتشاد جنوبا. وقد تنوعت البقايا الحضارية التي عُثِر عليها في موقع بئر العاتر بين أدوات حجرية كالصوان وبقايا رسوم ملونة على جدران الكهوف؛ كما تركت هذه الحضارة عددا من شواهد القبور المزينة بالرسوم. وتشير الدراسات إلى أن الإنسان العاتري اعتمد في غذائه في هذه المنطقة على الحيوانات وبعض أنواع الصدفيات والنباتات، واستعملها أيضا كوسيلة للتداوي، ووظف

أخشاب غاباتها في بناء المساكن وصناعة الأدوات التي احتاج إليها في حياته اليومية. ومع هذا التطور الذي أحرزته الحضارة العاترية إلى أنها لم يكتب لها البقاء طويلا إذ سرعان ما اضمحلت، وقد أرجعت المصادر هذا الاضمحلال إلى تغير الظروف المناخية، حيث أعقب فترة ازدهارها مناخ جاف مس هذه المنطقة خاصة والصحراء الأفريقية عامة مما دفع أصحاب هذه الحضارة الذين يعتمدون في حياتهم على الصيد والزراعة إلى الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن ظروف الحياة، منها الصحراء وبلاد الساحل وبعض مناطق إفريقيا الاستوائية. وربما يكون العاتريون قد واصلوا زحفهم جنوباً إلى غرب إفريقيا فوصلوا إلى موريتانيا والسنغال. لقد استمرت الحضارة العاترية في الوجود حتى العصر الحجري الحديث حيث توقفت وحلت محلها الحضارة القفصية.

عرف مواقع الحضارة القفصية بالرماديات وهي تلال صغيرة يتراوح علوها ما بين 1 و2 متر، ويمكن أن يصل طولها في أقصى الأحوال إلى 150 متر، ويقدر عرضها بحوالي 80 متر، وهي تمثل في مجموعها تراكمات تاريخية لبقايا التجمعات البشرية القديمة، مكونة من عناصر رمادية، وأدوات حجرية، وعظام الحيوانات، وقواقع الحلزونيات، ورغم أن اكتشاف هذه الحضارة لأول مرة تم في المنطقة الغربية لتونس إلا أنها عرفت انتشارا واسعا في الجزائر، ومن أهم مواقع الحضارة القفصية في الجزائر نذكر عين عسنة، عين دكار، الماء الأبيض، خنقة الموحد وتقع في ولاية تبسة، أما أهم مواقعها بمنطقة سطيف فهي: عين عين الناقة، زكار، دخلة : بوشريط، المجاز2، وتقع أهم مواقعها في المناطق الجنوبية بـ السعدان، المرموطة، الحويطة ونجد في منطقة تيارت الموقعين التاليين: نجد عين كده، كلومناطة. وتتميز الأدوات الحضارية القفصية المكتشفة بمنطقة تبسة والتي يعود تاريخها إلى نهاية الألفية السادسة قبل الميلاد بأشكالها الهندسية وبمادتها الحجرية المستعملة غالبا في صناعتها

يعتقد أغلب الباحثين أن الإنسان القفصي قد عاش حياة مستقرة، ويعتقد البعض الآخر أنه كان يعيش حياة ترحال موسمية. وقد وقع الباحثون لفترة طويلة في ضرب من الخلط والالتباس بين إنسان الحضارة القفصية وإنسان مشتي العربي، إلا أنهم، مع ذلك، أدركوا أن الأمر يتعلق بنوع آخر من البشر الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث، كما دلت عليه بقاياها العظمية التي عثر عليها في موقع عين مترشم، وقد تبين لهم اعتمادا على بقاياها المكتشفة في مواقع استقراره أن هؤلاء البشر كانوا يمارسون نشاط الصقل والنحت وصناعة رؤوس السهام، والفخار، والزراعة، وتربية الحيوانات.

. المرجع <https://gloriousalgeria.dz/Ar/Post/show/54>

